

الحقد الطبقي سلاح الإسلاميين لتغذية التطرف

العلماني وإعلان تحديه وممارسة الضغوط لتعديل ميزان القوة لصالحهم على مستوى التمثيل السياسي والمكانة الاجتماعية.

لم تقتصر الجهود على اجتذاب من القتهم الحداثة على قارة الطريق -بحسب وصف المفكر الفرنسي جيل كيبيل- من قاطني الأحياء والمحافظة الفقيرة والعاطلين عن العمل وفاقدى الأمل، بل امتدت إلى طبقة متوسطة من خريجي التعليم الديني والتقليدي، عبر وضعهم في مواجهة طبقية مع خريجي التعليم العصري بدوى سوء عدالة توزيع الامتيازات والحن من مكانة ونفوذ خريجي التعليم التقليدي.

أصبحت أزمة التعليم ومشاكله وما كان عليه من ازدواجية في مصر أرضية ملائمة لتوسعة واستقطاب عناصر الجماعات الدينية، خاصة من خريجي التعليم الديني ممن كانوا يشعرون بالغبين وانسداد الأفق.

إنتاج التطرف ارتبط بعناوين مختلفة وفرت بيئة مثالية لإنتاج إرهابي يرتكب العنف ضد مجتمعات صورت له بأنها بؤر فساد

بداية عصر محمد علي، في منتصف القرن التاسع عشر، هي تاريخ بدء تقيد حركة الأزهر وتجريده من نفوذه السياسي، وعندما صاغ حسن البنا مؤسس الإخوان تصورا مختلفا لسلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخالفا لتصوير الشيخ محمد عبده وسيرا على نهج جمال الدين الأفغاني، عبر توظيفه كداة للنفوذ السياسي، بدأ تحرك خريجي التعليم التقليدي بعيدا عن القيود التي طوقتهم، بغرض الاستفادة من الحالة الإسلامية الصاعدة لمعادلة النفوذ مع ذوي التعليم العصري والحداثي، باعتبارهم القائمين على إيفاء سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتشر مركز وثائق وتاريخ مصر الحديث إحصائية عن الوزارات بداية من العام 1878 إلى قيام الجمهورية في العام 1953، ولوحظ أن ازدهريا واحدا لم يتولى أي وزارة طوال ثلاثة أرباع القرن، ما عدا أربعة تولوا وزارة الأوقاف وهم: مصطفى عبدالرازق وعلي عبد الرزاق ومحمد فرج السنهوري وأحمد حسن الباقوري، في جملة عدد الوزراء الذين بلغوا خلال هذه الفترة مئتين وثمانين وتسعين وزيرا.

على مدار خمسة وأربعين عاما لم يتولى وزير شيخ وزارة الأوقاف إلا هؤلاء الأربعة ولم يزد مجموع شغلهم لها إلا نحو من سبع سنوات ونصف السنة، والشيخان مصطفى وعلي عبدالرازق لم ترشحهما للوزارة لشخصيتهم فقد كانا أقرب إلى جبل المؤسسات الحديثة فكريا واجتماعيا، حيث تلقى الأول قسما من تعليمه في فرنسا والثاني في إنكلترا.

وجد مؤسس الإخوان الذي تلقى علومه في مؤسسات التعليم التقليدي "دار العلوم" في إسناد المناصب الإدارية والمراكز المرموقة لخريجي التعليم العصري فرصة ل طرح نفسه زعيما ومصالحا لا في أوساط الفقراء والمهشمين اجتماعيا فقط، بل في أوساط خريجي التعليم الديني وفئة علماء الدين المتضررة من التهميش.

وصف البنا في مقال له بمجلة النذير المعبرة عن جماعة الإخوان في العام 1939 هذا الواقع بالاستعمار الحقيقي، قائلا "بلغ عدد الذين في المدارس الأجنبية حوالي خمسة والثلاثين ألفا ليسوا من أبناء الطبقات الفقيرة ولا المتوسطة بل هم من أبناء الوزراء والكبراء والمديرين والحكام والقضاة وغيرهم فيكون منهم الوزير والوكيل والقائد والحاكم، هذه هي القيود وهذا هو الاستعمار في الواقع".

هشام النجار
كاتب مصري

القاهرة - جدد عملية معهد الأورام الإرهابية وسط القاهرة مؤخرا، والتي نفذها أعضاء جماعة الإخوان من قاطني محافظة الفيوم في جنوب غرب مصر، الجدل حول الدوافع المتجددة التي تقود إلى تنفيذ عمليات إرهابية بخلاف الدافع العقائدي، وأكدت تواصل استغلال الفئات المهمشة والعاطلين.

وتحاول التنظيمات المتطرفة والدول الداعمة لها، تغذية الحقد الطبقي لدى الكوادر التي لديها استعداد للتطرف قصد الانتقام من الحكومة المصرية، وتصويره على أنه نتيجة لتجاوزاتها، وليس نتيجة لما يتم به من أفكار خارجة عن السياق المعتدل المعروف عن المصريين. وتتعامل مع هذه النماذج على أنهم ضحايا وليسا جلادين أو خارجين عن القانون.

وانتهت السلطات المصرية إلى هذه المسألة وبذلت جهودا لتخفيف المعاناة الاجتماعية، بعد أن تحولت إلى حاضنة رئيسية للعنف، وبيئة خصبة لنموه، وأحد روافد مده باستمرار بعناصر إرهابية جاهزة، كما هو حاصل في الفيوم.

لم تتوقف محافظة الفيوم عن تفریح الإرهاب، بخلاف محافظات ومناطق أخرى تشترك معها في ما تعانیه من ارتفاع لمعدلات الفقر ونسب البطالة، وهذه الاستمرارية في إنتاج الإرهاب ومنفذه تعكس النجاح في تصعيد مشاعر الحرمان إلى فعل انتقام طبقي ينفذه مهمشون عقائديون.

وظلت هذه المنطقة محط اهتمام مختلف فصائل التيار الإسلامي منذ بداية تأسيسه إلى اليوم، وتخرج منها على مراحل متعاقبة أكثر عناصره تأثيرا وعنفًا من تنظيم الإخوان منذ بداياته في عشرينات القرن الماضي إلى مرحلة صعود التنظيم وهبوطه، أو جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية أو التكفير والهجرة.

ارتبط إنتاج التطرف بعناوين ومسميات مختلفة على مدى عقود طويلة بتوفر البيئة المثالية لإنتاج شخصية الإرهابي المدفوع لارتكاب العنف ضد مجتمعات صوّرت له بأنها بؤر فساد وقهر وغضب، وضد أسلوب حياة الذي تنغم به طبقة في أعلى المجتمع، تم تكريس إدانته بأنها سبب الحرمان الذي تعانیه الطبقات الأدنى، سواء الحرمان من الرفاهية أو التمثيل السياسي والمكانة الاجتماعية.

وزع قادة الإسلام السياسي جهودهم لتحويل الدين عبر الانشغال بحواشيه من تفسيرات ومذاهب دون جوهره القيمي والأخلاقي إلى حافز للتمرد على الواقع القائم، إلى جانب استيعاب المهشمين اقتصاديا واجتماعيا لتعميق العزلة والانفصال عن المجتمع العلماني، ولتأجيج مشاعر الانتقام ضد.

وتواصلت الجهود الموجهة لاستقطاب فئات مجتمعية داخلية في عداد الطبقة الأرستقراطية بغرض الحيلولة بينها وبين التمدين والتخضر والثقافة العصرية، أملا في إضعاف جبهة المواجهة على الجانب الحداثي العصري، وهذا يفسر اهتمام جماعات الإسلام السياسي بجماعات التعليم المدني، بعد الاطمئنان لحالة التعليم الديني كساحة لتخريج المنضويين للجماعات الدينية والمتعاطفين معها.

أحرزت هذه الجهود مجتمعة نجاحا على مستوى استقطاب عناصر عديدة من مجتمعات النخب العصرية وخريجي التعليم المدني، وعلى مستوى تهينة المناطق المهمشة اجتماعيا واقتصاديا كي تصبح مصدرا متجددا لوقود الإسلاميين في معركتهم من أجل الانفصال عن المجتمع

حين يصبح الغنوشي بورقيا متشددا مدافعا عن المرأة

نفاق إخواني يحول المرأة من وعاء جنسي إلى خزان انتخابي



المرأة ديكور انتخابي

الزواج من أي رجل كزوجة ثانية وثالثة ورابعة منجزات إخوانية تخدم المرأة؟ أم أن اعتبار صوت المرأة وشعرها وأظفارها عورة بات يصنف في خانة النضالات التقدمية المنتصرة لحرية المرأة وحقوقها؟

في الحقيقة، إن المديح الأخير الذي نظمته الغنوشي في المرأة، ليس منفصلا عن مشروع إخواني كامل ومتكامل، فهو يأتي لإتمام ما بناه مشروع جماعة الإخوان التي جعلت في كل مراحلها المرأة بمثابة "ديكور" يستعمل لمقارعة الخصوم السياسيين والأيديولوجيين، فالجماعة عمدت منذ انبعاثها على توظيف كل الأوراق لخدمة مشروعها الساعي، أولا لإسلمة المجتمع أو للوصول ثانيا للحكم.

إن زعيم حركة النهضة الذي استقبلته نساء تونس في 2011 وهو عائد من منفاه ببريطانيا بذعر محفوف بمخاطر إضاعة المنجزات التي حصلت عليها إبان دولة الاستقلال عن المستعمر الفرنسي، يحاول أن يقنعنا اليوم ودون أن يتبرا خطبا وبصريح العبارة من الجماعة الأم الإخوان المسلمين، أنه يجسد بصفة تامة عما يتنبأه مؤسس الجماعة، حسن البنا، في كل طروحاته التي تخص المرأة، خاصة عندما قال في كتاب "رسالة المرأة الإسلامية":

"ليست المرأة في حاجة إلى التجنح من اللغات المختلفة، وليست في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة، فتعلم عن قريب أنّ المرأة للمزمل أولاً وأخيراً، وليست المرأة في حاجة إلى التجنح في دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس.. علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها: تدير المنزل ورعاية الطفل".

من ناحية، أخرى ما الذي يثبث للتونسيين على أرض الواقع أن حركة النهضة وزعيمها قد غيرا فعلا من نظرتهم للمرأة، فالنهضة التي تقدم نفسها اليوم بديلا مجتمعا للتونسيين، لم تقدم شيئا يذكر يخدم المرأة أو يدفع لجعلها متساوية مع الرجل في الحقوق والحرية، سوى تحريك ملبسها بالفسبوكية للتحريض ضد كل من يدعو للمساواة التامة بين الجنسين وضد كل من يدافع عن فكرة منع النقاب.

أبطل هذه المنجزات يطرح الغنوشي اليوم نفسه راعيا لحقوق المرأة ومساندا لحررها مما غرسته في ذهنه أديبات إخوانية رجعية كان قد صال وجال في البلاد منذ سبعينات القرن الماضي لتشورها وتعميمها وإشاعتها بين الناس؟

فالرجل نذر وقته ومسيرته الدعوية والسياسية منذ تأسيس حركة الاتجاه الإسلامي (فرع جماعة الإخوان في تونس) في ثمانينات القرن الماضي، ليحصر المرأة وأنشطتها ومكانتها في المجتمع على أنها لا تتجاوز في مهامها إلا أن تكون مجرد وعاء جنسي وتنحصر فقط في إرضاء غريزة الرجل وإشباعه قصد التكاثر ومن ثمة الاكتفاء بشؤون المنزل ورعاية الزوج والأولاد وصولا إلى المضي قدما في ألدلتهم وفق ما يتواءم مع ما تملّيه الشريعة الإسلامية.

فهل نسي أيضا زعيم حركة النهضة وهو يلبس عباءة ليست على مفاصه، أنه نظر وأظف في الحظ من كرامة المرأة، حين قال حرقيا في ذات كتاب له عنوانه "المرأة بين القرآن وواقع المسلمين"، إن المهام المجتمعية للمرأة تنحصر في كونها وعاء جنسيا.

ومن بين ما يذكره راشد الغنوشي في كتابه الشهير الصادر في عام 2005، بعد تفحصه وتفحصه لأكثر من 250 أية قرآنية تخص النساء، "يتركز الاختلاف بين الجنسين في وظائفهما الجنسية، وميزات المرأة تتمحور حول وظائفها الجنسية، كل ميزة تمتاز بها المرأة لها علاقة بوظائفها الجنسية أو هي نتيجة لهذه الوظائف".

ويصر المفكر الإخواني إلى أبعد من ذلك بكثير لكن بأكثر وضوح في المواقف وتحديدا في الصفحة 50 من الكتاب نفسه بقوله إن "الوظيفة الجنسية شيء أساسي بالنسبة للمرأة بينما هي عرض بالنسبة للرجل، وهذه الوظيفة هي أصل الطابع الأنثوي وكل صفة أخرى ثانوية تتغير بتغير الزئ مهمها بدت أساسية، مما يجعل الوظيفة الجنسية هي جوهر الأنثى".

الأكثر والأكثر خطورة في المسألة، أنه بإمكان المرء المتتبع الجيد للسيرة التاريخية لحركة النهضة الإسلامية منذ نشأتها أن يغفر للغنوشي أو يجد له تبريرا للمسوغات المغشوشة التي يريد إشاعتها بشأن تطور نظرة حركته للمرأة ما دام يلعب هذه الورقة في زمة الانتخابات أين يتم استعمال كل الأسلحة لإخراج الخصوم، لكن ما لا يمكن المرور عليه هكذا دون مجادلة الرجل فكريا وتاريخيا حتما يكمن في قوله حرقيا "الانتصار لحقوق المرأة هو جزء من المشروع الذي تناضل من أجله منذ عقود"، فمنذ متى كانت جماعة الإخوان أو فروعها تناضل من أجل تحرير المرأة؟ فهل أصبحت سنوات الدفع لإسلمة المجتمع والزعج بالمرأة في المنزل، أو إجبارها بقوة الشرع على

مرة أخرى يثير زعيم حركة النهضة الإسلامية راشد الغنوشي، بتصريحاته جدلا جديدا، بعدما صرح بمناسبة احتفال تونس باليوم الوطني للمرأة بأن حركته تنظر إلى المرأة على أنها المجتمع كله وليست نصفه فحسب، وأن حزبه الإسلامي ناضل طيلة عقود من أجلها، وهو ما يدفع وجوبا إلى البحث عن أسباب ارتداد الغنوشي عن مقولاته ومدونات الشريعة، التي لخصت مهام المرأة في كونها لا تتعدى أن تكون سوى وعاء جنسي بالمعنى الإخواني الصرف.

السياسي من وصايا تُشد على وجوب تمرير مشروع قانون المساواة التامة بين الجنسين، الذي نسي الغنوشي أنه لم تتم المصادقة عليه في البرلمان التونسي الذي تقوده أغلبية يشكها نواب حركة النهضة.

إن جوهر الموضوع في مثل هذه الحالة لا يُمكن البتة فصله أو مناقشته من الناحية الفكرية أو حتى السياسية، إلا بتذكر ذلك البيت الشهير لأبي العلاء المعري الذي يقول فيه "لقد جاء قوم يدعون فضيلة/ وكلهم يبغى لمهجته نفعًا * وما انخفضوا كي يرفعوكم وإنما/ راوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا".

الغنوشي بدا وهو يغازل المرأة ويقول فيها ما لم يقله نزار قباني في بلقيس وما لم يقله عنتره في عبلة، بورقيا متشددا، متناسيا أدبياته التي تحصر مهامها في كونها وعاء جنسيا

بالوقوف، أولا عند قول الغنوشي إن المرأة ليست نصف المجتمع بل هي المجتمع، يحاول زعيم حركة النهضة أن يظهر لجمهور الناخبين أن حركته تحولت من النقيض إلى النقيض في علاقة بالمرأة، وأنها أصبحت أكثر إيمانا أكثر من أي وقت مضى بأفكار وأطروحات الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة أو أنه ربما أصبح واحدا من أكثر البورقبيين تشددا ومناصرة لتحرير المرأة من براثن وترسبات الفكر الإخواني الرجعي وغير الموابك لتطورات العصر.

الغنوشي وهو يتحدث عن المرأة ومكانتها وهو يرتد أيضا على مقولة "المرأة نصف المجتمع"، ليتجاوزها إلى أكثر من ذلك بكثير بتشيده على أن المرأة هي المجتمع كله، نسي أو تناسى أن للتاريخ مهمة رئيسية وهي حفظ المدونات وكل ما يُكتب،

وسام حمدي
صحافي تونسي



تونس - التاريخ هو الثلاثاء 13 أغسطس 2019، والإطار احتفال

التونسيين والتونسيين باليوم الوطني للمرأة، أما الحدث البارز؛ فقد اقتضته زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي، الذي بدا وهو يغازل ويمدح المرأة ويقول فيها ما لم يقله نزار قباني في بلقيس وما لم يقله عنتره في عبلة، بورقيا متشددا في دفاعه عن المرأة.

يقول راشد الغنوشي بمناسبة عيد المرأة التونسية، الذي جعل له في تونس تاريخ الـ13 من أغسطس كل عام، وهو تاريخ إطلاق الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة وثلة من المفكرين التونسيين مجلة الأحوال الشخصية التي بعثت أولى شرارات تحرير المرأة، "المرأة ليست نصف المجتمع بل هي المجتمع كله، لأن النصف الآخر يترقب في أعضائها أيضا، والانتصار لحقوقها هو جزء من المشروع الذي تناضل من أجله منذ عقود".

ويضيف زعيم الحركة الإسلامية " إن المرأة هي قوة التجنح في الأمة وهي قوة حفظ المجتمعات وعنصر التماسك فيها، وكل جهد يتجه إلى ضرب المرأة وترذيلها وإمتها كرامتها وحرمانها من حقوقها الشرعية، إنما هو ضرب لمجتمعاتنا في الصميم وضرب لاستقرارها وتوازنها، وإن الانتصار لحقها في الحياة الشريفة الكريمة يقود إلى صون المجتمع والرفع من قيمة أفرادها وتحسينه من شتى المخاطر المحدقة به".

سامع هذا السلام أو قارنه من بعد، يترأى له وهو يستعد بينه وبين نفسه للإقدام على القيام بعملية فرز سياسي قبل حلول مواعيد الانتخابات الرئاسية والتشريعية، أو بالأحرى يُخيل إليه أن الغنوشي بهذا الخطاب المزوج لم يعد ينقصه الآن وهو يخوض حملة انتخابية سابقة لأوانها سوى أن يعلن على الملأ بأنه تنويري أو أنه "بورقبي الفكر"، أو أنه حافظ لأمانة وحامل حقيقي لما تركه الرئيس التونسي الراحل الباجي قائد